

جُهِدُ الْمُقِلِّ فَكَيْفَ بِأَبْنِ كَرِيمَةٍ
تُؤَلِّيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحٌ^(١)

جارية بلا روح

وأديرت فوقفت حذاء أبي الطيب، فقال:

[المنسرح]

جَارِيَةُ مَا لَجَسْمِهَا رُوحٌ
بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ^(٢)
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا
لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ^(٣)
سَاشَرَبُ الْكَأْسِ عَنْ إِشَارَتِهَا
وَدَمْعُ عَيْنِي فِي الْخَدِّ مَسْفُوحٌ^(٤)

يقاتلني الليل عليك

ثم أراد الانصراف فقال:

[الوافر]

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جَدًّا
وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ^(٥)

= المطر، وكذلك المديح يُعتبر كأنه تذكير بالكرام من كرماء الزمن فتبدو حديقته غناء باستمرار، وتبقى على الزمن فَوَاحَةٌ عطرة.

(١) المقل: من قلت ذات يده. الجهد: القدرة والوسع. يذكر الشاعر أن عبق الروضة جهد نزر، ولكن ثناء الشاعر عظيم لا ينقطع، وذلك في حال انهمرت أعطيات الممدوح عليه فلسان الشاعر فصيح يُجيد المديح وفنونه.

(٢) التباريح، الواحد تبريح: الشدائد. يتغزل الشاعر بالجارية، إنها آية جمالية، خُلِقت لابتلاء القلوب وتطويعها فتأتمر بأمرها وتوقعها بالشدائد والحسرات، فالكل من الرجال يؤد الاحتفاظ بها ويتمنى رضاها.

(٣) الطاقة: القوة. إنها مصدر طاقة، ومنها يستمد كل طيب رائحته، فهي نبع طيب لا ينقطع.

(٤) مسفوح: سائل. يُعلن الشاعر أنه طوع لإرادة الجارية، فإذا قدمت إليه كأس خمر، فهو مستعد لشربها، وحينئذ سوف تدر عيناه دمعاً على خديه لاشمئزازه من الخمرة التي لا يرغب في تعاطيها رغم امثالته لإرادتها.

(٥) يُعلن الشاعر حبه للأمير، فهو يرغب بمجالسته ومناذمته، ولكن الليل وتقدمه بحولان بينه وبين الأمير، ولذا فهو أمضى سلاح يُفرق بينهما.

لَأَنْتِي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرْفِي
بَعِيدٌ بَيْنَ جَفْنِي وَالصَّبَاحِ^(١)

سقاني الله دم الأعداء

وَجَرَى حَدِيثَ وَقَعَةِ أَبِي السَّاجِ مَعَ أَبِي طَاهِرٍ صَاحِبِ الْأَحْسَاءِ ، فَذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ
مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْقَتْلِ فَهَالَ بَعْضُ الْجُلَسَاءِ ذَلِكَ وَجَزَعُ مِنْهُ فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ
بَنِ طُغَيْجٍ ارْتَجَالاً :

[الوافر]

أَبَاعَتْ كُلُّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحَ^(٢)
وَفَارِسَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحَ
وَطَاعِنَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غُمُوسَ^(٣)
وَعَاصِيَّ كُلِّ عَدَالٍ نَصِيحَ^(٤)
سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا
دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ

(١) يُعَلِّلُ سِرَّ أَرْقِهِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ الْأَمِيرِ أَنَّ الْأَرْقَ النَّاتِجَ عَنْ حَبِّهِ لِلْأَمِيرِ يَحُولُ دُونَهُ وَدُونَ
نَوْمِهِ فَلَا يَعْرِفُ لِلنَّوْمِ طَعْمًا ، وَلِذَا فَإِنَّ الْفَجْرَ يَطُولُ بَعْدَهُ وَلَا تَلُوحُ تَبَاشِيرُهُ لِيَسَارِعَ إِلَى
قَصْرِ الْأَمِيرِ لَشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِمَنْ يُحِبُّ .

(٢) الْبَاعِثُ : الْمَحْيِي . الطُّمُوحُ : الْجُمُوحُ . السَّلْهَبَةُ : الْفَرَسُ الطَّوِيلَةُ . يَخَاطِبُ الشَّاعِرَ
مَمْدُوحَهُ بِأَنَّهُ مَصْدَرُ الْفَضَائِلِ وَالْكَرَمِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَدْرِكُ شَأُوهُ أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَبِأَنَّهُ
فَارِسٌ لَا يُشَاقُّ غِبَارَهُ ، فَهُوَ يَعْتَلِي مَتْنِ فَرَسٍ سَلْهَبٍ يِقَاتِلُ عَلَيْهِ أَعْدَاءَهُ وَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ
لِشَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ .

(٣) النَّجْلَاءُ : الْوَاسِعَةُ . الْغُمُوسُ : الَّتِي تَجْعَلُ الْمَطْعُونَ مَبْلَلًا دَمًا . الْعَدَالُ : اللَّائِمِينَ .
وَمِنْ صِفَاتِ الْمَمْدُوحِ أَنَّهُ يَحْمِلُ رَمْحًا يَخْتَرِقُ الْأَجْسَادَ وَيَنْغَمِسُ فِي الْأَكْبَادِ ، فَيُخْرِجُ
وَهُوَ يَقْطُرُ دَمًا مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ ، وَمِنْ صِفَاتِهِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَهْتَمُّ لِلْوَمِ اللَّائِمِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ عَلَى ثَنِيهِ عَنِ التَّفَضُّلِ بِالْمَكَارِمِ ، فَهُوَ كَرِيمٌ يَنْفَقُ أَمْوَالَهُ فِي سَبِيلِ عَزَّتِهِ وَرَفْعَةِ
شَأْنِهِ وَبُعْدِ صَيْتِهِ بَيْنَ الْوَرَى .

(٤) يَدْعُو الشَّاعِرُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعِينَهُ عَلَى الْفَتَكِ بِأَعْدَائِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ لَكِي يَقْضِيَ أَرْبَهُ مِنْهُمْ
وَيَفْنِيَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ .